## الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم[١]

أسئلة من الجزائر : جاءتنا الأسئلة الآتية من الجزائر وأحب مرسلها أن يرمز الى اسمه بكلمة « غويشم » . قال بعد الثناء والسلام : إنني أحببت أن أشرب من بحر علومكم فهم مسألة الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، مع علمهم لا شك بأفضلية بعضهم على بعض ، وسبب قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه . وكيف نسلك طريق الاعتقاد في ذلك تفصيلاً وتحقيقاً وتعميقاً وتدقيقاً ؟ ومرادنا من استمداد هذا المرغوب من حضرتكم الفخيمة لكونها نتيجة حضرة المغفور له مولانا الاستاذ الإمام الشيخ سيدنا محمد عبده رضي الله عنه ، فنحصل على بعض أفكاره في المسألة رحمه الله وأعزكم من بعده .

ج — لا يمكن التفصيل والتحقيق المطلوب في هذه المسألة في جواب سؤال وإنما يكون ذلك في مصنف خاصّ بها ، ولو ذكر ذاكر خلاصة وجيزة لمصنف وضعه أو هيأه لصعب التسليم بها على من لم يطلع اطلاعه ولم يقتنع بمآخذه لتلك الخلاصة ، وأحب لكم أن تقرأوا ما كتبه رفيق بك العظم في كتابه **أشهر مشاهير الاسلام**[٢] وتعملوا رأيكم في ذلك وتراجعوا فيه كتب التاريخ ، حيث تجدون حاجة للمراجعة وما يشتبه عليكم بعد ذلك فراجعونا لنبين لكم رأينا فيه . على أننا نذكر هنا شيئاً وجيزاً ينير لكم طريق البحث .

---

(١) المنار ج ٨ ( ١٩٠٥ ) ص ٦٦٨ - ٦٧٠ .

(٢) رفيق العظم ، أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة . القاهرة ، مطبعة الموسوعات ومطبعة المنار ومطبعة هندية ، ١٩٠٢ - ١٩٠٣ . ٤ أجزاء .

أما علم الصحابة عليهم الرضوان بفضل بعضهم على بعض فهو على كونه ضرورياً في الجملة وكونه على غير ما يظن الجمهور في التفضيل لا يستلزم عدم وقوع الخلاف . فان معاوية إذا كان يعلم أن علياً يفضله في العلم والتقوى فقد يعتقد انه هو يفضل علياً في السياسة والإدارة . وقول العلماء : « يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل » ، معقول لا سبيل الى إنكاره ، وهو مما لا يخفى على عاقل ، ويؤيده استدراك التلميذ على الاستاذ والمبتدي على المنتهي في مسائل يكون هو المصيب فيها ، ولأجل ذلك نبحث في كل ما قاله العلماء الراسخون وأئمة الفنون الواضعون رجاء أن نعلم ما لم يعلموا ، أو نصيب بعض الأغراض التي أخطأوا كما قال الإمام مالك رضي الله عنه : « كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر » ، يشير الى قبر النبي ﷺ ويريد بعموم كلامه الصحابة ، فمن دونهم من علماء التابعين وهو يعلم ان فيهم من لا يُعد ممن يفضله في فهم الشريعة والوقوف على أحكامها . إذا فهمت هذا فلا تعجب لاختلاف الصحابة يوم السقيفة ، ولا يوم اختيار أحد الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم ، ولا لاختلاف علي ومعاوية فان الصحابة لم يكونوا كالأشاعرة والماتريدية لهذا العهد مقلدين لشيوخهم بأن أفضلهم فلان ففلان الخ . ولا ممن يقول إن الأفضل يجب أن يكون هو الخليفة . على أن الأشاعرة وغيرهم يجوزون إمامة رجل مع وجود أفضل منه إذا كان المولى حائزاً الشروط التي لا بد منها للإمامة .

ثم اعلم أن كبار الصحابة كانوا يعلمون من مجموع ما جاء في الكتاب العزيز عن الشورى ومن سنة النبي ﷺ في سياسته وأحكامه ومن جعله الخلافة في قريش ان شكل الحكومة الإسلامية يجب أن يكون وسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة جمهورية وحكومة ملكية ووسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة الأشراف وحكومة الأفراد أعني أن الذي فهموه كان وسطاً حقيقياً بين ما ذكرت من غير ملاحظة هذه الأطراف وكونه وسطاً بينها . فلهذا لم يجعلوها في آل البيت خاصة بهم ، اذ لو فعلوا ذلك لكانت من نوع

حكومات الاشراف التي استعبدت الناس وجعلت الملك الهاً معبوداً ، ولا تستبعد انهم كانوا يفطنون لهذا الأمر لا سيما مع علمك بما أوتوه من نور البصيرة التي أعشى شعاعه بصائر الفلاسفة والحكماء حتى هذا العهد . وقد رأيت أن هذا الأمر وقع بالفعل من الفاطميين عند مـــا جعلوا الخلافة تراثاً فيهم لمكان نسبهم .

ومن هنا تعرف سبب تألب الناس على عثمان بعد أن قويت عصبية بني أمية باستكثاره من استعمالهم حتى خيف أن يتحول وضع الخلافة عن الشرع ويصير حكم أشراف يقوم بالعصبية . وعثمان لم يكن يقصد هـــذا ولكن الحوادث مهدت له بما كان من لينه وحيائه وشَرَهِ قومه وطمعهم فيه حتى أحس المسلمون بالخطر قبله وهو لا يرى قومه في جواز استعمالهم إلا كسائر الناس . فارجع بعد هذا إلى ما قلناه في تقريظ كتاب **أشهر مشاهير الاسلام**[1] في الجزء الثالث عشر من منار هذه السنة . وحسبك الآن هذه التنبيهات ، وعليك بعد كثرة القراءة بمراجعتنا في المشكلات .

## ١٧٣

## ثبوت رمضان بقول المنجم[2]

ومنه : ثم أستفتيكم في مسألة ثبوت شهر رمضان بقول المنجم ولماذا قال خليل « لا بمنجم » .

ج – راجع ص ٦٩٤ وما بعدها من المجلد السابع[3] تجد القول في ذلك مفصلاً تفصيلاً .

---

(١) المنار ج ٨ ( ١٩٠٥ ) ص ٥٠٧ – ٥١١ .
(٢) المنار ج ٨ ( ١٩٠٥ ) ص ٦٧٠ .
(٣) المنار ج ٧ ( ١٩٠٤ ) ص ٦٩٤ – ٦٩٧ .

## ١٧٤

## صلاة النساء في المساجد[١]

ومنـه : هل يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد أم لا ؟ لأن في بلادنا رجالاً طغاة بالهم وجاههم حرّموا المساجد على النساء وأحلوا لهـم العفرات ( كذا ) .

ج – كان النساء على عهد النبي ﷺ يصلين مع الرجال في المسجد يقفن وراءهم ، فصلاتهن في المسجد سنة متبعة ثابتة لم يختلف في صحتها أحـد من المسلمين ، فتحريم ذلك على الاطلاق جهل فاضح . والأحاديث القولية في ذلك كثيرة أشهرها حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فأذنوا لهن » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن ما عدا ابن ماجه . ولكن ورد : أن يخرجن غير متبرجات بزينة . فقد روى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « لا تمنعوا إماء الله مساجـد الله وليخرجن تفلات » أي غير متطيبات . قالوا : ويلحق بالطيب ما في معناه من المحركات لداعي الشهوة كالحلي والحلل وجميع ضروب الزينة . وروى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي في سننهما من حديثه أيضاً أن النبي ﷺ قال : « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة » وأعمّ منه حديث زينب امرأة ابن مسعود في صحيح مسلم : « إذا شهدت احداكن المسجد فلا تمس طيباً » .

نعم ورد أيضاً أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المسجد فقد روى أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر : « لا تمنعوا النساء أن

---

(١) المنار ج ٨ ( ١٩٠٥ ) ص ٦٧٠ - ٦٧١ .

يخرجن إلى المساجد وبيوتهن خير لهن » وله شواهد . وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » وفي اسناد الحديث ابن لهيعة ممن طعن في روايتهم ، ويجوز حمله على غير صلاة الجماعة . وفي الباب رأي عائشة رضي الله عنها قالت : « لو أن رسول الله ﷺ رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها » رواه الشيخان . وعلى هذا الرأي بني المتأخرون منع النساء من المساجد فهو اجتهاد لا يصح أن ينسخ النص القطعي الصريح ويحرم ما أحل الله ورسوله ، نعم إن عُلم أن خروجهن إلى المسجد يكون سبباً للفتنة جاز أو وجب منع من يعلم او يظن الافتتان بهن فقط مع إزالة سبب الفتنة ، ولكن لا يصح أن يقال ان خروجهن الى المسجد وصلاتهن فيه محرمة عليهن ولا أن يجعل حكماً عاماً مطلقاً .

## ١٧٥

## ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات[1]

ومنه : كم هي ذنوب الخطيب الذي لا يأمر الناس إلا بالعجز والكسل والموت والخرافات والتقليد وسيء العادات ؟ لا زلت بحراً يستجلب دره ، ومزناً يستوكف دره ، والسلام .

ج — هذا الخطيب شر خطباء الفتنة ، وذنوبه لا تحصى إلا إذا أمكن احصاء تأثيرها الضار في الأمة ، وأنى يحصى وهو من الأمور المعنوية التي لاتعرف بالعد والحساب . فمن سيئات هؤلاء الخطباء وآفاتهم في الأمة أن

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٦٧١ - ٦٧٢ .

كانوا علة من علل فقرها وضعفها في دينها ودنياها وضياع ممالكها من أيديها ، فهم أضر على المسلمين ، من الأعداء المحاربين ، ومن دعاة الضلال الكافرين ، ومثلهم كمثل الطبيب الجاهل يقتل العليل ، وليس هذا محل شرح سيئآتهم بالتفصيل ، ولكن لا بد من التنبيه على سيئه منها حادثة لم تكن من قبل وهي ان أبناء المسلمين الذين تعلموا العلوم العصرية وعرفوا أحوال الأمم وسياستها ، وتأثير آدابها في مدنيتها وعزتها ، ولم يقفوا على حقيقة الآداب الإسلامية ، ولا غير ذلك من الأصول الدينية ، يتوهمون ان هؤلاء الخطباء ينطقون بلسان القرآن ، ويبينون للناس لباب ما جاء به الدين من الحكم والأحكام ، ويستدلون على ذلك باجازة العلماء ما يقولون وما يوردون في كلامهم من الأحاديث وان كانت موضوعة او واهية ، وما يرصعونه به من الآيات وان كانت بما ينهون عنه آمرة وعما يأمرون به ناهية ، ولكن أنّى للسامع المسكين ، أن يميز الغث من السمين ، إذا كان لم يطلع على تفسير الكلام القديم ، ولم يقرأ علم الحديث الشريف ، فلا جرم ينفر من الدين نفور الكاره له ، المعتقد أن معارف البشر أهدى منه ، وإذا كان عارفاً بدينه فانه ينفر من صلاة الجمعة . وأعرف من المصلين من يتحرى أن يدخل المسجد بعد فراغ الخطيب من خطبته ، وحدثني الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى أن رجلاً من النابغين في العلوم العصرية كان كثير الخوض في الدين والانكار لبعض أصوله وفروعه فما زال به الاستاذ حتى أزال شبهاته وأقنعه بأن يصلي فبدأ بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر فسمع خطبة من الخطب المسئول عنها فنفر ، وقال إن هذا شيء لا يصلح به أمر البشر ، وما أنا بعائد إلى سماع هذه الخطابة انخداعاً بما للشيخ محمد عبده من الخلابة .

هذا وان مقام الخطابة هو مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام خلفائه ونوابهم وقد أهين هذا المقام في هذا العصر لا سيما في مصر فصار

يعهد به كثيراً إلى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس ، لأن الخطابة في نظر ديوان الأوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدى بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر او تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل ، وفي نظر طلابها حرفة ينال بها الرزق . فهمّ الديوان في الخطيب أن يكون قليل الإجرة لتتوفر أموال الأوقاف فيوضع مـــا يزيد منها عن النفقات التي لا تفيد المسلمين في خزائنه او خزائن البنك . وقـــد اجتهد الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى في إحياء هذا الركن الإسلامي يجعل الخطابة خاصة بالعلماء الأعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حيـــاته ولعلها تتنحى فينفذ بعد موته .

## ١٧٦

## أسئلة من دمياط

## قصة المولد النبوي[١]

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال : بعد الثناء والتحية : جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل ( من الأشراف ) المنتسبين للعلم ، وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها ( جامـــع البحر ) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة ، وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم ، فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء ( وقد قرأ عليه هنا درسين فقيد الاسلام والشرق المرحوم الشيخ محمد عبده حينما كان بمصيف رأس البر في السنة الماضية ) وابتدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي ، ثم سرد ما لا أذكر منه على كثرته غير ما يأتي :

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٨٦١ - ٨٦٤ .